PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(9): 161-183
ISSN: 1553-6939

Translation and the Principle of Difference

A Philosophical Reading of Buthaina Al-Ibrahim's and Samir Mahfouz Bashir's Arabic Translations of Jean Webster's Epistolary Novel *Daddy Long Legs*

Dr. Hadjer DIB
Department of Translation, Badji Mokhtar – Annaba University (Algeria),
E-mail: hadjer.dib@univ-annaba.dz
Received: 07/2024, Published: 09/2024

Abstract:

This study seeks to examine the question of difference in translation and its relationship with material and immaterial perceptions from a purely philosophical perspective, starting with the structural difference on which the concept of translation is based, going from the semantic to the ideological difference that raises translation to the stage of sensory perception and sensation. The recipient can, in this way, progressively interact with the semiotics of the text until he finds himself in the world of abstraction, as the translator reads with his mind in a language other than the language of that thought to collect and arrange the writer's ideas and then deconstruct them in his own language without feeling it. Therefore, difference becomes an inescapable principle of translation because it is inherent in the translator's being and especially in the translator's mind. Yet, how does this difference affect the process of literary translation without compromising the essence of the original text and the writer's textual identity while maintaining the acceptability of the translation to the recipient? It seems that the effect of difference leads to the acceptance of the Other and cohesion with the Ego, unlike similarity, which generates bickering and distancing, which is a strange paradox that we will analyze in the Arabic Translations of Buthaina Al-Ibrahim's and Samir Mahfouz Bashir's of Jean Webster's Epistolary Novel *Daddy Long Legs*.

Keywords: Translation - Difference - Philosophy of Deconstruction - Triad of Structure, Meaning and Metaphor - Epistolary Novel.

الترجمة ومبدأ الاختلاف

قراءة فلسفية في الترجمتين العربيتين لكل من بثينة الإبراهيم وسمير محفوظ بشير للرواية الرسائلية Daddy Long Legs لجين ويبستر Jean Webster –

د. هاجر ذيب

قسم الترجمة، جامعة باجي مختار – عنابة (الجزائر)، البريد الإلكتروني: hadjer.dib@univ-annaba.dz

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في مسألة الاختلاف في الترجمة وعلاقته بالتصورات المادية واللامادية من منظور فلسفي محض بدءا من الاختلاف البنيوي الذي تقوم عليه مفهومية الترجمة مرورا بالاختلاف الدلالي وصولا إلى الاختلاف العقائدي الذي يسمو بالترجمة إلى مرحلة الإدراك الحسي والشعور لدى المتلقي ليتفاعل تدريجيا مع سيميائية النص حتى يجد نفسه في عالم التجريد، فالمترجم يقرأ بفكره لغة غير لغة هذا الفكر ليجمع أفكار الكاتب ويرتبها ثم يفككها في لغته دون أن يشعر.

وبناء عليه، يصبح الاختلاف مبدأ في الترجمة لا مفر منه لأنه متأصّل في الكينونة الترجمية ولا سيما في فكر المترجم. لكن كيف يؤثر هذا الاختلاف على عملية الترجمة الأدبية دون المساس بجوهر النص الأصل وهوية الكاتب النصية مع المحافظة على مقبولية الترجمة لدى

المتلقي؟ يبدو أن تأثير الاختلاف يفضي إلى تقبل الآخر وتلاحمه مع الأنا على خلاف التشابه الذي يولد التشاحن والتباعد وهذه هي المفارقة العجيبة التي سنحاول دراستها في الترجمتين العربيتين لكل من بثينة الإبراهيم وسمير محفوظ بشير للرواية الرسائلية Daddy Long Legs لجين ويبستر Jean Webster .

الكلمات المفتاحية: الترجمة – الاختلاف – فلسفة التفكيك – ثلاثية المبنى والمعنى والمكنى – الرواية الرسائلية.

1. مقدمة:

لا يختلف اثنان على أن الكون مبني ظاهريا وباطنيا على مبدأ الثنائيات الضدّية، كالحياة والموت، والشمس والقمر، والخير والشر، والليل والنهار، والرجل والمرأة، والدنيا والآخرة، وغيرها من الثنائيات الأخرى، والأمر نفسه بالنسبة للترجمة التي لا تعدو كونها مجموعة من الثنائيات فرضتها مجموعة من القيود اللغوية وخارج اللغوية نذكر على سبيل المثال لا الحصر: النص الأصل والنص الهدف، والكاتب والمتلقي، والمبنى والمعنى، والحرفية والتصرف، واللغة والثقافة، وحتى وإن سمّيت ثنائيات غير أن مضامينها متناقضة ومستقلة عن بعضها البعض ضمنيا، بل أنها غير زوجية وغير متماثلة، لأنها تقوم على مبدأ التقابل، والتقابل تناقض، ذلك أن لفظ التقابل يرتبط بدوائر هرمنيوطيقية أساسها تأويل بالتضاد، فإذا كان هم المترجم إفهام الآخر بفهمه الأصل فالنتيجة تلقي الأنا في مركزية الآخر، بناء على ترجمة وفق استراتيجية مبدأ الخيارات عمودها التقابل، ومن خلال هذا التقابل، يستحدث المترجم كينونة الأنا في ذات الآخر.

مشكلة البحث

نستشف من خلال هذا الطرح أن الترجمة تندرج ضمن علاقات متشابكة بين الأنا والآخر، وعليه، ينبثق السؤال الآتي: ما مدى مقبولية كينونة الأنا المختلفة التي يستحدثها المترجم في ذات الآخر وأثرها اللاشعوري في فكر المترجم؟ للإجابة على هذا السؤال، وكي لا نوسع من دائرة البحث، لا بد أن نأخذ في الاعتبار مجموعة من المتغيرات التي تؤثر على كينونة الأنا، أولها: متغير ثقافة الاختلاف، وثانيها: متغير تأويل المترجم، وثالثها: متغير قابلية الترجمة، ورابعها وليس آخرها: متغير العوامل المحيطة بالآخر.

أهمية البحث:

يعالج هذا البحث الظواهر الترجمية المطلقة التي تشمل مجموعة من الثوابت اللغوية وتراهن على فهم السيرورة الترجمية من ناحية منطقية وتحليل مظاهر الاختلاف من وجهة نظر فلسفية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث أساسا إلى تحديد تجليات الاختلاف في الفكر الترجمي التطبيقي وتعريفها من وجهة نظر فلسفية، بالإضافة إلى محاولة رصد ترجمة الرواية الرسائلية التي نكاد نجزم أن دراستها في الحقول البحثية الترجمية منعدمة، بينما نجد بعض الباحثين اللسانيين اجتهدوا في تسليط الضوء عليها وعلى ميزاتها الأدبية واللغوية.

تحديد مصطلحات البحث:

1. **الترجمة**: بمفهومها الفلسفي نقل أفكار ورؤى تعتمد على حدس المترجم وقفزة واعية من طرفه بلغة الآخر، وهي تقريبية وإن لم نقل نسبية إلى حد ما وليست مطلقة، تفسّر وتنقل ولا تخلق الأنا لأنه أمر من سابع المستحيلات، وكل ذلك وفق مبدأ الاختلاف.
2. **الاختلاف**: يتجلى مفهومه في ثنائية الدال والمدلول وتحديدا بينهما (غينتسلر، 2007، 348)، أي في الفجوة الواسعة، وبإسقاطه على الترجمة، يتجلى أكثر في ثنائية فكر الكاتب/ النص الأصل ومجتمع الترجمة، وهو المتسبب في التعددية الترجمية للنص الأصل. أما في السياق الفلسفي: "**فالاختلاف ضد الاتفاق، والفرق بينه – الاختلاف – وبين الخلاف أن الأول**

يستعمل في القول المبني على دليل، بينما لا يستعمل الثاني إلا فيما لا دليل عليه، والاختلاف – عند بعض المتكلمين – هو كون الموجودين غير متماثلين وغير متضادين" (بعاج، 2010، 3)، وبالعودة إلى السياق الترجمي، نجد أن التعريف الثاني يتناسب مع السيرورة الترجمية لأن قراءة المترجم للنص الأصل لا تحوي بالضرورة مؤشرات توجهه إلى مقصد الكاتب، ومرد ذلك التراكمات المرجعية التي تؤثر على فهمه له وإن لم نقل تطغى في معظم الأحيان على قراءاته له.

3. **عدم المطابقة:** يرى هيجل Hegel أن المطلق هو الذات أي أن مبدأ الهوية هو الكامن خلف الاختلاف، (حيدر، 2020،16)، بالتالي "**فالتطابق بين الفكر والوجود لا يتم إلا عندما يترابط المفهوم والحدس بعضهما ببعض" (شولتنغ، 2020، 271)**، كما يرى أن "**كل أمر ذهني هو أمر واقعي في المقابل يرى عكس ذلك صحيحا، ما يعني اعتقاده بوجود نحو من التطابق بين الذهن والواقع الخارجي**".(حيدر، 2020،15)، بالتالي فإن عدم المطابقة ليس فقط مجرد عدم تعارض مع الأنا بل أيضا مع ما هو خارجي عن الأنا أو غير الظاهر، الأمر الذي يجعل الترجمة تأخذ طابعا مغايرا لماهيتها القائمة على مبدأ المطابقة أو مبدأ التكافؤ في اللغة الهدف، يتمثل في "كتابة جديدة".

4. **عدم التمثل:** شكّل عدم التمثل منعطفا حاسما لدراسات الجليل "Sublime" خلال القرن العشرين، وظهر المفهوم مع كانت Kant وتطوّر فلسفيا وإيديولوجيا مع جون فرانسوا ليوتار Jean-François Lyotard الذي أسس لفلسفة ما بعد الحداثة، حيث عرّف **كانت** عدم التمثل بمجرد شعور لا يمكن تسميته أو التعبير عنه. (كورCore، 2016: 01).

« **L'imprésentable c'est un certain sentiment qu'on ne saurait nommer** » .

بالتالي فهذا الشيء غير القابل للتمثل شعور يتحول إلى صورة في المطلق.

الدراسات السابقة:

سال حبر كثير حول الترجمة والاختلاف، لكن جلّه كان يتمحور حول الماهية والعلاقات القائمة بينهما دون البحث في ثنايا الاختلاف في الترجمة من منظور فلسفي، وفي بعض الأحيان لا يعدو كونه تعريجا على الاختلاف في سياق ما، نذكر منه على سبيل المثال لا الحصر:

1. الاختلاف في اللغة:

ساهم مجموعة من الباحثين تحت إشراف الباحث جوزيف ف. غراهام Joseph F. Graham بمجموعة من المقالات صدرت في مؤلف جماعي بعنوان Difference in Translation سنة 1985، تبيّن أوجه الشبه بين الترجمة والاختلاف في علاقتهما بالعمليات اللغوية من ناحية إيجابية، حيث طرح بعضهم مسألة المعنى وعلاقتها بالاختلاف في الترجمة داخل اللغة الواحدة، حتى أنهم ذهبوا إلى أن المعنى وليد الاختلاف في الترجمة، بينما تطرق بعضهم إلى أن المعنى ينبثق في الترجمة عندما يصل المترجم إلى قناعة مفادها أنه لا يوجد أي طريقة لمعرفة ما يقوله الآخر سوى التعبير عنها بطريقته على اختلاف لغته وعقائده وفكره وثقافته، وأنه من الخطأ مجابهة المعنى بالمبنى والتضحية بأحدهما على حساب الآخر في الترجمة، أو بعبارة أخرى، الاختلاف ليس في التفرقة والانشقاق إلى تيارين وهيمنة فكر الكاتب على ذوق المتلقي وثقافته أو العكس، وإنما في تأصّله في استيعاب الآخر وفي فعل المثاقفة، حتى أنّ جاك دريدا Jaque Derrida في مقال له ذكر أن المترجم يمكن أن يعوّض الكاتب ولكن لا يمكن له أن يتحرّر من فكره، وأن نصّي هذين الاثنين، أي المترجم والكاتب، يكملان بعضهما البعض، بالتالي فهما يتكافآن على مستوى البنية والمحتوى غير أنهما يختلفان على صعيد المعنى.

2. الاختلاف في الإئتلاف:

سنة 2001، وفي الفترة الممتدة من 31 ماي إلى غاية 01 جوان، نظم معهد نيدا للدراسات البابلية Nida Institute for Biblical Scholarship مؤتمرا دوليا حول التشابه والترجمة Similarity and Translation بنيويورك، شارك فيه مجموعة من

الأكاديميين والباحثين، أسفرت توصياته عن طباعة أشغال المؤتمر على شكل كتاب جماعي تحت عنوان Similarity and Difference in Translation، وكان أهم أشغاله فيما يتعلق بالاختلاف مساهمة يوجين نيدا Eugene A. Nida وماريا تيموزكو Maria Tymoczko اللذان طرحا فكرة الاختلاف في الترجمة من وجهة نظر سيميائية، لأن ترجمة النصوص تقتضي في بعض الأحيان التعبير عن الإيديولوجيات وما هو ضمني وفق مقاربة مجازية بغية تقريب الترجمة إلى الأصل ولكن في إطار الاختلاف في التعبير عن الفكرة وتمثيلها.

3. التكافؤ في الاختلاف:

خصّص جين دي (Jin Di) ست (06) صفحات في كتابه "Literary Translation Quest for Artistic Integrity" الصادر في طبعته الأولى سنة 2003، عن مفهوم التكافؤ في الاختلاف، حيث أشار إلى الاختلاف بين اللغات من ناحية الكلمات والأنساق، وشكّك في صحة فرضية التناظرات اللغوية أو مثلما يسميها جورج مونان Georges Mounin "العوالم اللغوية" Les universaux de langage من الناحية التركيبية والصوتية والمعجمية والنحوية والتداولية، وضرب بعض الأمثلة حول ذلك في إطار اللغتين الإنجليزية والصينية كي يثبت صحة فرضيته.

4. الاختلاف في سيرورة الترجمة:

نشرت مجلة Translation Journal في عددها الثالث، المجلد 12، الصادر في جويلية 2018 مقالا لأتسوشي إيبدا Atsushi Iida، بعنوان « Individual Differences in the Translation Process : Differences in the act of translation between two groups of ESL Japanese students » يتناول فيه دراسة إجرائية استقصائية حول كيفية ترجمة عينة من طلبة يابانيين لمقطع نصي من اللغة اليابانية إلى اللغة الإنجليزية، وتتمثل هذه العينة في مجموعة من الطلبة الذين يعتبرون طلبة مقيمين أجانب بالولايات المتحدة الأمريكية، منهم من استوعبتهم الثقافة الأمريكية أي مكثوا بالولايات المتحدة الأمريكية لمدة لا بأس بها واندمجوا مع الحياة فيها، ومنهم من وصلوا في ذلك الوقت لأجل الدراسة فيها، كي يوضح الاختلاف أو الفروقات بين أفراد المجموعة الواحدة، وخلص إلى أن هؤلاء الطلبة على اختلاف أجناسهم (ذكر/ أنثى) وتخصصاتهم، ورغم تقارب مدة الوقت المستغرق وعدد الكلمات الموظفة في الترجمة، انتحوا استراتيجيات ترجمية تختلف عن بعضها البعض، كما توّصل إلى نتيجة مفادها أنّه كلما كانت خبرة المترجمين أقل، كلّما كانت الترجمة أكثر حرفية، بينما كلما زادت خبرتهم، كلما أنتجت الترجمة المعنى المقصود في النص الأصل بشكل أفضل، بالتالي فالفروق الفردية في الترجمة ليست إلا نابعة من تجارب الحياة.

أسلوب البحث:

بغية الإجابة على مشكلة البحث والتوصل إلى نتائج و/ أو توصيات يمكن تبنيها لاحقا في حقل الترجمة الأدبية، اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي والمنهج المقارن، والرجوع إلى الفكر الفلسفي والمقاربة الفلسفية في الترجمة بالاستناد إلى أهم نظرياتها، مع التركيز على مبدأ الاختلاف.

هيكلية البحث:

اشتمل البحث على إطار نظري جاء في شكل خمس مباحث سيتم ذكرها مسترسلة في هذا البحث وإطار تطبيقي يتناول دراسة تحليلية نقدية لترجمتي بثينة الإبراهيم وسمير محفوظ البشير للرواية الرسائلية Daddy Long Lesgs إلى اللغة العربية.

الإطار النظري

المبحث الأول: الترجمة وفلسفة الاختلاف

يرتبط مفهوم الاختلاف عادة بالفلسفة، حتى أن هناك فلاسفة محدثين أطلقوا على أنفسهم فلاسفة الاختلاف واستحدثوا فلسفة جديدة يطلق عليها بـ "فلسفة الاختلاف"، لأن أساس الوجود حسبهم الاختلاف، أمثال ليوتار، وجاك دريدا Derrida Jacques،

وجيل دولوز Gile Deleuze، وميشيل فوكو Michel Foucault، حيث شكلت هذه الفلسفة محور دراسة لعدة قضايا فلسفية مثل مركزية العقل، والهوية، والجسد، والتطابق وغيرها من القضايا الأخرى التي حظيت باهتمامهم، ومن بينها اللغة التي استقلت فيما بعد عن هذه الفلسفة وأصبح لها مسمّى آخر يدعى بفلسفة اللغة (مصطفى، 2018: 133 – 136).

اقترنت فلسفة اللغة في مجملها بقضايا التأويل والأدب والثقافة والعلامة والمعنى والترجمة. وقد شهدت هذه الأخيرة تحوّلا هاما على يد مجموعة لا بأس بها من الباحثين أمثال بول ريكور Paul Ricœur، وطه عبد الرحمن، وعبد السلام بن عبد العالي وغيرهم (جديدي، 2019: 65 – 116/67). ولا يخفى أن علاقة الترجمة باللغة علاقة وطيدة لأن موضوع الترجمة اللغة، وبين اللغة والترجمة مثاقفة تقحم الذات في الآخر والآخر في الذات، وما هذه المثاقفة إلا تداخل يقوم على الاختلاف، والاختلاف في جوهره منعرجات لغوية وخارج لغوية بين الذات والآخر تتجلى فيما يلي:

– **اختلاف الثقافات**: أو ما يصطلح عليه شيوعا بالاختلاف الثقافي من أقرب المفاهيم إلى مصطلح الاختلاف، ومرّد ذلك أن أي الاختلاف ينسب إلى الهوية و/ أو الثقافة، والثقافة أنماط، منها التاريخية والجغرافية والدينية وغيرها، تتلخص جميعها في مصطلح التنوع الثقافي الذي يرتبط غالبا بمصطلحات الحوار والتسامح وتقبل الآخر والانفتاح عليه. هذه المصطلحات تحصيل حاصل لسيرورة الترجمة، مما يجعلنا نستنتج أن الاختلاف في الثقافات نابع عن الترجمة من خلال ممارسة إجراء الذهاب والإياب من النص الأصل إلى النص المترجم في مرحلة ما قبل أن تسفر عن النص الهدف.

– **اختلاف القراءات**: أشار رولان بارت Roland Barthes (2000) في إحدى كتاباته أن النص واحد والقراءات متعددة، أي أن النص واحد ثابت لا غبار عليه بينما لكل قارئ تحصيله الخاص به من هذا النص، ويتجسد ذلك في المفهوم اللساني لثلاثية الكلمة (الدال والمدلول والمرجع)، فالدال ثابث لا يتغير ويقصد به التسمية، فنحن نتفق كلنا على أن أعلى الجسم الرأس، فكلمة "رأس" ثابتة غير متغيرة لأننا ندعو كلنا هذا الجزأ من الجسم بـ "الرأس"، بينما نختلف في تعريفه وهذا ما نسميه بالمدلول وهو متغير بسبب الصورة المتشكلة في ذهن الشخص، فلكل شخص صورة ذهنية عن الرأس تؤثر على تشكل المدلول، وهي ما نطلق عليها بالمرجع، فالمدلول إذن قراءة للدال، تختلف من شخص إلى آخر بسبب المرجع، وإذا أسقطنا هذه الثلاثية على الترجمة، فنجد أن النص الأصل ثابت لا يتغير وهو بمثابة دال، والترجمة متمثلة في النص الهدف أي المدلول، لأنها متغيرة، فلكل مترجم ترجمته، ويمكن للمترجم نفسه الحصول على عدة ترجمات للنص الواحد، وخير مثال على ذلك، الطبعات المصححة والمنقحة للترجمات العلمية و/ أو الأدبية التي تصدر عن المترجم نفسه في دور النشر، وبالرجوع إلى اختلاف القراءات وعلاقتها بالترجمة، نجد أن لكل مترجم قراءته الخاصة التي تنبع عن معتقدات ومكتسبات اجتماعية ثقافية تجعل من الترجمة نصا جديدا في حد ذاته مقارنة بالنص الأصل. في هذا المقام، يمكننا أن نعرج على بعض القراءات التي ينتحيها المترجم على غرار القراءة السطحية والقراءة العميقة: القراءة الاستطلاعية lecture exploratoire والقراءة الكاملة lecture intégrale والقراءة التوثيقية lecture documentaire (**بلاسار Plassard، 2007**)، وكل قراءة تختلف استراتيجياتها عن الأخرى.

– **اختلاف المفاهيم**: طرح الباحث الجزائري زهير قوتال في أطروحته (2015، 157) مشكلة المفهوم الفلسفي من وجهة نظر الباحث الفلسفي الفرنسي جيل دولوز Gilles Deleuze، قائلا أن المفهوم الفلسفي لا ينبثق من الفراغ بل يكمن داخل المقصدية intentionalité. بالتالي، فلكل مفهوم مقصدية، والمترجم لا يضع مفاهيم من العدم بل يستخرجها من ذهنه في شكل كتل نصية، فمن اللامادي إلى المادي تتجسد المفاهيم الترجمية في النص الهدف ضمن إطار سياقي كتابي معين موجه للقراءة، وهنا يتلقى مستقبِل الترجمة هذه المفاهيم بطريقته الخاصة التي عادة ما تختلف عن طريقة استقبال المترجم للنص الأصل بسبب اختلاف المرجعيات.

– **اختلاف المرجعيات** : في هذا السياق، يمكن أن نضرب مثالا حيا على اختلاف المرجعيات وهو اختلاف في تحديد المفاهيم القرآنية في الفقه الإسلامي بسبب اختلاف المذاهب والانتماءات العقائدية، الأمر الذي أثر سلبا على ترجمة هذه المفاهيم القرآنية في بعض الأحيان، وساهم في تعزيز فكرة استبعاد "قابلية ترجمة" القرآن الكريم، والاكتفاء بترجمة التفاسير القرآنية رغم اختلافها عن بعضها البعض، والمثال

نفسه بالنسبة لترجمة الكتاب المقدس مع الإشارة إلى أن النص الأصل مفقود، فصارت الترجمة المسماة بالكتاب المقدس Bible مرجعا حصريا للترجمة، لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بل نتج عنه عدة ترجمات أخذت بدورها تسميات بسبب اختلاف المرجعيات والانتماءات، نذكر منها (ميشونيك Meschonnic: 1999): la septante, la vulgate, l'ancien testatament, le nouveau testament, la génèse, le livre de la loi, les saintes écritures ….

– **اختلاف اللغات:** ما يزال هذا النوع من الاختلاف يطرح الكثير من التساؤلات لدى المحدثين الغربيين وحسبهم أن اختلاف اللغات لغز محير لم يجدوا له جوابا، ولعل أكثر القصص المتداولة لديهم في هذا الشأن "أسطورة برج بابل" التي تروي حكاية الملك نمرود الذي ينحدر من سلالة نوح عليه السلام والذي أراد الخلود فبنى برجا عاليا كي تلامس قمته السماء أو عرش الرب، لكن الرب غضب عليه وسلط عليه عقابا تمثّل في هدم برجه وتشتيت قومه – الذي كان يمثل سكان المعمورة – إلى عدة أقوام، ومن هنا نشأت اللغات، وجاءت الترجمة بسبب خيانة الملك نمرود للإله، غير أن هذا الأمر يختلف لدى المسلمين، لأن اختلاف اللغات من معجزات الله عزوجل، حيث ورد في القرآن الكريم ما يخالف هذا الطرح، يقول الله عزوجل في سورة الروم – الآية 22: "**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**"، واختلاف الألسن هو اختلاف اللغات.

– **اختلاف السياقات:** تردد كثيرا مصطلح سياق الموقف لدى المحدثين في ميدان اللغويات سيما مع ظهور نظرية السياق لعالم اللغويات فيرث Firth عام 1985 التي تهدف إلى تفسير كيفية تصنيف البشر للأشياء والظواهر والأحداث في فئات مختلفة اعتمادا على السياق الذي تظهر فيه، فبحسب فيرث، لا يتم تصنيف الأشياء والأحداث بشكل ثابت بناء على خصائصها الداخلية فقط، بل يتم ذلك أيضا اعتمادا على السياق المحيط، فالسياق سياقات، زمنية ومكانية واجتماعية، تختلف في حد ذاتها عن بعضها البعض، واختلافها أمر حتمي ومهم للغاية في فهم العالم من حولنا، لأن الواقع الذي نعيشه ليس ثابتا أو مطلقا، بل متعدد الجوانب ومتغير باستمرار، وما نراه ونفهمه يعتمد بشكل كبير على السياق الذي نوجد فيه، سواء كان سياقا ثقافيا أو اجتماعيا أو تاريخيا أو حتى ذاتيا. وقد أثارت قضية السياق فضول العديد من الفلاسفة ونسبوها إلى الحقيقة، وحسبهم أن الحقيقة ليست مطلقة بل نسبية، بسبب اختلاف السياقات، وعليه، فإن الترجمة أيضا تبقى نسبية بسبب السياق النصي الذي تقوم عليه.

– **اختلاف الأجناس:** يظهر هذا الاختلاف عادة في تلقي الترجمة، ففي هذه الحالة تتجلى ثقافة الاختلاف في سيميائية التلقي، لكن قبل الخوض في هذه النقطة، تجدر بنا الإشارة إلى أننا وضعنا مصطلح اختلاف الأجناس الذي يشير إلى الاختلاف البيولوجي للكائنات الحية بما فيها الإنسان وبالتالي المترجمين والمتلقين على اختلاف أنواعهم (متلقيي النص الأصل ومتلقيي الترجمة) سواء ذكور و/ أو إناث، ولكننا نقصد اختلاف الجندر الذي يشير إلى الاختلاف النفساني والسلوكي بين الرجال والنساء على غرار الاختلاف البيولوجي من ناحية ذكر أو أنثى. فالجندرية Genderality وليس مثلما يصطلح عليها في بعض الأبحاث العلمية بالجنسانية التي يقابلها مصطلح Sexuality، مكتسبة من المحيط الاجتماعي (Eurich-Rascoe وآخر، 1997: 40). في هذا الإطار، أظهرت بعض الأدبيات العلمية في مجال الترجمة أن معارف المترجم المكتسبة تؤثر على طريقة تفكيره وممارسته للعملية الترجمية وبالتالي تنعكس هذه المكتسبات على ترجمته، ومن بين هؤلاء الذين تطرقوا إلى هذه الإشكالات منظري الجندرية أمثال: جون ديليل Jean Delisle ولوري شامبرلين Laurie Chamberlain وعلى رأسهم شيري سيمون Sherry Simon ، وعليه، تصبح الترجمة في حد ذاتها ناتجة عن مكتسبات قبلية وبعدية نتيجة التلقي القبلي للمترجم من المحيط الاجتماعي، والتلقي البعدي من خلال قراءته للنص الأصل، مما ينتج عنها اختلاف في الترجمات بسبب اختلاف المكتسبات القبلية للمترجم حسب اختلاف المحيط الاجتماعي، وبالتالي اختلاف القراءات، وقبل ذلك اختلاف المناهج والممارسات الترجمية.

– **اختلاف المناهج والممارسات الترجمية:** تعددت التعاريف الاصطلاحية للترجمة وفق الانتماءات الفكرية لمنظري الترجمة، بسبب اختلاف السياقات اللسانية وخارج اللسانية، ويمكن تلخيصها في التعريف الآتي: نقل كلام / نص/ خطاب/ فكرة/ مفهوم/ ثقافة/ صورة/

سياق/ معلومة/ ...إلخ من لغة إلى لغة أخرى. في سياق مشابه تقريبا، تعددت أيضا المناهج والممارسات الترجمية، ذلك أن الترجمة لا تخلو من المقارنة والموازنة، فالمترجم، قبل ترجمته للنص، أمام خيارين: إما أن يميل إلى تيار المصدريين les sourciers أو تيار الهدفيين les ciblistes، وإذا اختار الأول مثلا فبالضرورة سيتبنى مقاربة فكرية لسانية أو أدبية فينسب لنفسه نظرية لسانية أو نظرية تعدد الأنساق ثم يرسم استراتيجية ترجمية حرفية مع استخدام تقنيات ترجمية تخدم استرداد الأصل في اللغة المنقول إليها، والعكس صحيح بالنسبة للمترجم الذي يختار التيار الثاني، حيث ينتقي المناهج التي تنتج نصا جديدا يكافئ الأصل في رسالته.

المبحث الثاني: الترجمة وقبول الذات – مبدأ التجاذب/ الانسجام مع الآخر (الانعكاس من مفهوم هيغل) التبعية:

أحرز علم الترجمة مع تعدد المنظرين وتنوع انتماءاتهم تقدما هائلا في الحقول البحثية بأنواعها كاللغوية والعلمية والفلسفية، وتعتبر هذه الأخيرة توجها هاما في الدراسات الترجمية، لأنها استحضرت تصورات قبلية ووضعتها في بوتقة ممارسات ديناميكية حديثة، كالترجمة بوصفها انعكاس للآخر وقبوله. في هذا المقام، أشار هيجل إلى مفهوم الانعكاس la réflexion في حديثه عن العلاقة (حيدر، 2019: 285) في إطار منطق الاختلاف، فلا يوجد انعكاس دون علاقة ثنائية الجانب، أو تقابل بالمفهوم الترجمي، حيث يعنى بالبحث عن طبيعة هذه العلاقة وتأثيرها الاجتماعي، وفي الغالب، جوهر النص، وربما نلاحظ ذلك بصورة أكثر وضوحا في الانعكاس الترجمي من مفهوم أنثروبولوجي مع تغيير طفيف في التسميات، أي قبول الذات أو مبدأ التجاذب أو التبعية، فتصبح الترجمة مجرد قالب دلالي للنص الأصل، ويحصل ذلك غالبا عندما يلمس المترجم استحالة في الترجمة، على عكس ما جاء به برمان Berman أن الترجمة مرآة للذات لكنها محاكاة ممزوجة بنوع من الإبداع مما يجعلها دائما جديدة، أو مثلما يسميها un nouvel original، وهو ما يتنافى مع مبدأ التبعية الفلسفي ويتماشى مع مبدأ الحرية لهيغل.

المبحث الثالث: الترجمة ورفض الآخر – مبدأ التنافر/ التباين من الذات (التضاد أو التناقض من مفهوم هيغل) الحرية:

استمد هيجل مفهوم التضاد l'opposition من الكينونات المعنوية واللامعنوية المتضادة كالماء والنار، والأنثى والذكر، ويفرق بين التضاد والتناقض la contradiction ذلك أن هذا الأخير أعم من التضاد لأنه يشمل صراعات داخلية (حيدر، 2019: 286 – 287)، بالتالي فهذان المفهومان مقترنان ويعكسان جوهر الاختلاف، وبالعودة للترجمة، نجدها وليدة الاختلاف لا محالة مثلما ذكر أعلاه، لأن الترجمة أحيانا تصبح رفضا للآخر بسبب التباين الذي ينجم عنه تنافر إيديولوجي و/ أو ثقافي. على هذا النحو، تصبح الترجمة استقراء لفكر الكاتب بعيون متلقي الترجمة، أو لنقل إعادة كتابة أو إبداعا جديدا يسمو نحو الحرية المطلقة في حدود الهوية الأصلية، أي هوية لغوية ثقافية في معرض غيرية نصية.

في هذا الصدد، أشار جديدي (2019، 233 – 234) إلى أربعة أنواع من الهويات وهي:

- الهوية القائمة: وهي هوية فوقية معلنة ترتبط بالمحيط السياسي والثقافي والاجتماعي. (هوية مركزية ظاهرية يروّج لها بصفة علنية).
- الهوية النائمة: وهي هوية تحتية مضمرة ترتبط بالمحيط الاقتصادي والثقافي التقليدي. (هوية شبه مركزية متنازع عنها تصارع لأجل تكريسها وتثبيت أسسها).
- الهوية الهائمة: وهي هوية مهمشة مفقودة أحيانا ترتبط بالمحيط الإنساني والاجتماعي. (هوية لا مركزية عرضة لكل التيارات الفكرية والسياسية عادة ما يتاجر بها لأغراض خاصة).
- الهوية العائمة: وهي هوية متوسطة عالمية ترتبط بكافة الهويات الأخرى. (هوية غير ثابتة وجودية مستقلة منفتحة على الهويات الأخرى وتتمتع بقابلية المثاقفة).

انطلاقا من هذا، تصبح الترجمة فكرا حرا يستمد مكوناته من الحريات والقيود والمفاهيم الاجتماعية والإنسانية والمحيطية، فمن البديهي أن ترفض الترجمة الآخر وتتنافر مع الآخر كي تنسجم مع الذات أو الأنا المستقبلة، وتصبح انفتاحا بواسطة الاختلاف، وتنفي فكرة "العودة إلى الأصل فضيلة"، وتحل محلها فكرة "العودة إلى الأصل حصيلة"، ونقصد بالحصيلة، حصيلة الاختلافات الجوهرية الظاهرية والباطنية الناتجة عن جدلية اللغة والهوية.

المبحث الرابع: الترجمة وصراع السياقات اللغوية وخارج اللغوية/ بين الهوية والغيرية:

يرى هيجل الحرية دون قيود (حيدر، 2019: 291)، بمعنى أننا أحرار عندما نكون قادرين على الاختيار دون إجبار من أشخاص آخرين أو رغباتنا الطبيعية أو الظروف الاجتماعية. وفي سياق الترجمة، بالمعنى الأدق، فإن الترجمة جزء لايتجزأ من الأصل أي أن التبعية – شئنا أم أبينا – متأصلة في الترجمة، "**لأنه لا ترجمة إلا لنص موجود، ولا تكون هناك ترجمة إلا لما سبقها من نص، كيف يكون ذلك ممكنا؟ وهذا هو السؤال الذي يرتبط في شكله وماهيته مع فعل الإبداع. غالبا ما يصور الإبداع على أنه فعل الخلق الذي لم يسبقه فعل أولي أو تراث صاحب سلطة وتأثير أو رأي وموقف ملهم "إذا أردنا (يقول جورج مونان Geroges Mounin) فهما، فلماذا وكيف تظل الترجمة ممكنة؟ يجب علينا قبولها بكليتها، فهذا الأمر متعلق بما تجبرنا به لغة معينة على النظر إلى العالم بكيفية معينة، وتمنعنا من ثم من رؤيته بكيفيات أخرى**". (**جديدي، 2019: 83**).

نستنتج من هذا القول أن الترجمة تنجم عن صراعين داخلي وخارجي:

* **صراع داخلي**: في ذات المترجم يمكن الاصطلاح عليه بـ "صراع إنساني ذهني" يولد من مشاحنة بين قراءة الأصل وكيفية تلقيه في ذهن المترجم بعد صراعات نفسية ونفسانية تولد بين الدال (النص الأصل) والمدلول (الفهم المحصّل) والمرجع (الخلفيات والمرجعيات والسياقات التي ينتمي لها المترجم)، صراع بين هويته متجذرة وغيرية مكتسبة.
* **صراع خارجي**: في روح النص يمكن الاصطلاح عليه بـ "صراع لغوي خارج لغوي" يولد من مشاحنة بين تعبيرية المترجم ومقصدية الكاتب في ما بعد النصية بعد صراعات لغوية إيديولوجية سيميائية تولد بين المبنى (الشكل) والمعنى (المضمون) والمكنى (ما هو موجود).

ويترتب عن ذلك أن مهمة الترجمة لم تعد فقط نقل للمعارف بل رفض للآخر وقبول للذات أو العكس أو انصهار للآخر مع الذات في حيز لا متناهي من التأويلات المنطقية واللامنطقية.

المبحث الخامس: المقاربة الفلسفية في الترجمة: بين شليجل وشلايماخر وهامبولت وستاينر وبنيامين وهايدجر وقادامير وعبد الرحمن/ الترجمة قضية فلسفية بامتياز:

أخذت الترجمة منحى جديدا بظهور عمالقة الفلسفة الحديثة، على غرار شليجل Schlegel وشلايماخر Schleiermacher وهامبولت Humboldt وستاينر Steiner ودريدا وبنيامين Benjamin وهايدجر Heidegger وقادامير Gadamer وعبد الرحمن، سيما في حقبتي ما قبل وما بعد الحداثة premodernism/ postmodernism، حيث أصبحت تفرق بين الفلسفيات العامة وفلسفيات الترجمة بمصطلح يكاد يكون جديدا في الحقل الترجمي وهو "فلسفة الترجمة أو traductosphophie"، مثل فلسفات هايدجر وبنيامين (راو Rao، 2011: 77).

من هذا المنطلق، سنستعرض بإيجاز أهم مسلمات المقاربة الفلسفية في الترجمة، والتي تشترك جميعها في فكرة تقبل الاختلاف وتكريس الغرابة:

- **شلايماخر**: هو صاحب النظرية الهرمينوطيقية في الترجمة، ومؤسسها، قبل أن يترك المجال لخلفيه الفيلسوفين شليجل وهامبولت الذين تبنياها بعد ذلك، ويقصد بالهرميوطيقية في الترجمة التحليل الوجودي للفهم ودراسة مختلف قضايا التأويل، ومنها جاءت النظرية التأويلية. (راكوفا Rakova، 2014: 07).
- **شليجل**: بالنسبة له يجب على الترجمة أن تسافر وتقوم بجولة حول العالم أو ما يسميها بـ "الجولة الكبرى le Grand Tour"، كما أنها انعكاس للأنا، وتضاد للآخر. (حيدر، 2019: 285 – 286).
- **هامبولت**: بالنسبة له، تأخذ الترجمة معناها عندما تنجح في إيصاله بطريقة مختلفة، ولن تصل إلى مبتغاها إلا إذا جعلت متلقيها يشعر بالغرابة، وقد كرس مبدأ الاختلاف في الترجمة أكثر من الفلاسفة الآخرين. (راكوفا، 2014: 48/44).
- **بنيامين**: يرى هذا الأخير أن الترجمة الأدبية أو "الفنية" على حد تعبيره ليست موجهة للقراء غير القادرين على فهم الأصل (راكوفا، 2014: 53/50)، ولا يكتفي بذلك، بل يذهب إلى أبعد من ذلك، مؤكدا أن وظيفة الترجمة تجسيد جوهر النص الأصل وإبقاء على قيد الحياة وجعله صامدا مع مرور الوقت، وذلك بإعادة بنائه وتحرير ما أسماها بـ "اللغة النقية" pur langage، وهو الفكر الإلهي الذي يضمن التطابق بين اللغات بطريقة متكاملة. (كيرومن Keromnes، 2009: 222 – 223).
- **هايدجر**: يرى أن المفهوم الأولي للظاهرة ناتج عن ما يسميه "تأثير التداخل nesting effect "، حيث تتجسد القصدية في الحدس التصنيفي، الذي يتجسده في البديهة، كما أنه يرى أن الاختلاف وجودي بالأساس (أرجاكوفسكي وآخرون Arjakovski، 2013: 349):

« **A soit différent de B : est une différence ontique (une orange n'est pas une pomme). Mais A ne peut être différent de B que si le « *est* » diffère à son tour de A et de B : différence ontologique** ».

كما يميز بين الترجمة التحريفية والترجمة الحقيقية، أي أن الترجمة مسألة وجودية بالأساس.

- **ستاينر**: يرى أن الترجمة سيرورة هرمنيوطيقية تمر بأربع مراحل وهي الثقة والاعتداء والاندماج والتعويض. (ستاينر، 1998: 312 – 435).
- **عبد الرحمن**: يفرق طه عبد الرحمن بين أوجه العلائقية بين الترجمة والفلسفة، أي بين ترجمة الفلسفة وفلسفة الترجمة والترجمة الفلسفية والفلسفة الترجمية، وقد ركز على الوجه الثاني فلسفة الترجمة الذي ينظر إلى الجوانب الوجودية والمعرفية والأخلاقية. (قوتال، 2019: 65).
- **ريكور**: يؤمن ريكور (2004) بالاختلاف ومنطق الاستبدال وهاجس الاستحالة، وقدم نمطين في الترجمة: البراديغم اللساني ويتعلق بالجوانب اللغوية والنصية والبراديغم الوجودي ويتعلق بالجوانب خارج اللغوية والإنسانية.

نستخلص مما سبق، أن الترجمة قضية فهم وتأويل وهي عملية ذهنية بالأساس ترتبط بكل ما هو ميتافيزيقي.

المبحث السادس: النزعة التفكيكية والترجمة (دريدا):

طرح إدوين غينتسلر Edwin Gentzler في كتابه Contemporary Translation Theories (2001: 145 – 186) قضية التفكيك في الترجمة، مشيرا إلى أن أنصار النزعة التفكيكية حتى لا نقول النظرية التفكيكية أعادوا طرح الأسئلة التي قامت عليها نظرية الترجمة، ومن بين الأسئلة التي أسسوا بها مقاربتهم: ماذا لو افترضنا أن النص الأصل يقوم على الترجمة؟ ماذا لو افترضنا أنه لا وجود للنص الأصل دون ترجمة؟ ماذا لو افترضنا أن النص الأصل متغير بتغير الترجمة وأن فكرة ثبوته مستبعدة سواء شكليا أو ضمنيا؟ حتى أنهم ذهبوا لأكثر من ذلك معتقدين أنه عند ترجمة النصوص، يمكن للمترجم أن يخوض تجربة الاختلاف التي تشكل أساس نزعتهم، فجاك دريدا

مثلا (غيننتسلر، 2001: 145 – 149) يرى أن التفكيك والترجمة مكملان لبعضهما البعض، فلا تفكيك دون ترجمة ولا ترجمة دون تفكيك، ويرى أن التشابه بين النص الأصل والترجمة وهم ذاتي ينتج عادة عن القائم بعملية الترجمة، والأمر نفسه بالنسبة لميشيل فوكو Michel Foucault (غيننتسلر، 2001: 149 – 153) الذي يرى أن المترجم هو الذي يخلق النص الأصلي، كما أنه لا يعترف بالمفهوم التقليدي للكاتب وهويته الثابتة، لأنه يرى أن نص الكاتب في حد ذاته خضع لأنظمة زمانية ومكانية لم يعيها الكاتب وفقد السيطرة عليها، فالكاتب بالنسبة له وليد مواقف ذاتية تحررت بسبب قيود لغوية وخارج لغوية، حتى أنه لطالما ذكر أن الترجمة تكمن في الاختلاف:

« The *différance* that forbids translation, however, is also the opening that makes translation possible at all. » (DAVIS, 2014: 17).

أما هايدجر فيرى أن الترجمة إظهار ما هو موجود ولكنه غير موجود أصلا، وهذا الموجود غير الموجود أصلا اصطلح عليه دريدا بالاختلاف la différance ويشير في اللغة الفرنسية إلى الإطارين الزماني (التأجيل والتأخير) والمكاني (كل ما يتعلق بالوجود)، ويقترح التركيز على التأويلات المتعددة للنص الأصل عند الترجمة، مع تجاهل مقصد الكاتب وطريقة كتابته، كما يفند التعريفات التقليدية النظرية للترجمة القائمة على فكرة النقل أو إعادة الصياغة أو إيصال المعنى، بل يعرفها أنها نشاط يخفي الحضور باستمرار ويحبط كل رغبة في وجوده، والتفكيك عنده يكمن في إعادة البناء دون تمثيل، أي الترجمة دون النص الأصل (غيننتسلر، 2001: 153 – 167)، بالتالي فالترجمة تفكك النص الأصل وتعود إلى نقطة ما قبل تسمية الشيء، وهي عملية مستمرة في لغتها الواحدة. على العموم، يحلل التفكيكيون على غرار دارسي الترجمة الاختلافات والأخطاء والتعديلات النصية انطلاقا من النص الأصل لكن دون أخذه في الاعتبار عند الترجمة.

الإطار التطبيقي

المبحث الأول: في ترجمة الرواية الرسائلية Daddy Long Legs/ صاحب الظل الطويل/ أبي طويل الساقين:

1– في الرواية الرسائلية: المفهوم والكتابة السردية الوصفية

نشأت الرواية الرسائلية epistolary novel بظهور الحوارات التراسلية المتبادلة في القرون الوسطى بين السجناء في إيطاليا، وفي رسائل الحب والغرام المتبادلة بين روميو وجولييت، وأحيانا في الرسائل الفردية الموجهة إلى العامة، كرسائل الراهبات في البرتغال، والرسائل الخيالية بين شخصيتين فارسيتين لمونتسكيو، وغيرها من الرسائل الأخرى، وامتد هذا النوع من الكتابة السردية إلى العصر الحديث مع مجموع الرسائل المتبادلة بين ألبير كامو وماريا كازاريس، وبين جبران خليل جبران ومي زيادة، وبين غسان كنفاني وغادة السمان، وبين أحلام مستغانمي والمرأة الشرقية في روايتها نسيان.com، ليسهم في تأسيس ما يصطلح عليه أكاديميا "بالأدب الرسائلي"، وهو جنس أدبي متخلل genre intercalaire في جنس الرواية حسب باختين Bakhtine، وهذا ما ذكر في أغلب الأبحاث الأكاديمية التي لو أردنا استعراضها سنجدها شبه معدومة أو تكاد تعد على أصابع اليد، بينما الشائع أن الرواية الرسائلية نشأت قبل القرون الوسطى بظهور أدب المخطوطات سيما عند ظهور المختارات المتنوعة من الرسائل والدواوين الشعرية miscellanies.

يشير الدكتور فهد بن ابراهيم البكر (2023، 72) إلى أن الرواية الرسائلية تجمع بين جنسين مختلفين وهما الرواية والرسالة، لأنها تسهب في سرد الأحداث بما فيها الزمان والمكان على لسان الشخوص تتخللها حوارات متبادلة أو ذاتية وتخوض في التفاصيل بوصف دقيق يتميز بالجمالية والتوفيق في انتقاء الكلمات، مستحضرا في ذلك، تعريف الأستاذ الدكتور محمد القاضي وآخرين، الذين يروا أنها: **"ضرب من الروايات انتشر في أوربا في القرن الثامن عشر، عماد النص فيه رسائل تخييلية، إن بصفة كلية، أو بصفة جزئية، تضطلع بوظيفة السرد والحوار، أو تؤدي على الأقل دورا هاما في سياق أحداث الحكاية"** (2010: 613 – 215)، والذي صنفها إلى ثلاثة أنواع: الرواية الرسائلية ذات الصوت الواحد، التي تصدر مراسلاتها عن شخص واحد عادة ما يكون كاتبها، يوجهها إلى

شخص معروف أو مجهول، والرواية الرسائلية ثنائية الصوت، التي يتبادل فيها شخصان المراسلات بطريقة تكاد تكون منتظمة ودورية، والرواية الرسائلية متعددة الأصوات، يتبادل فيها متراسلين متعددين في وقت متزامن وجهات نظر حول موضوع ما، وكل الأنواع تشترك في نمط كتابة واحد يتمثل في النمط السردي الوصفي. ولا يتسع لنا المقام لعرض آليات الكتابة السردية الوصفية وتقنياتها وعناصرها وخصائصها، ولكننا في المقابل، سنذكر أهم وظائف fonctions هذا النوع من الكتابة الأدبية على لسان جينيت Genette (1972: 261) وهي خمسة:

- **الوظيفة السردية** narrative: وهي الوظيفة التي يتقمص فيها الراوي دورا أساسيا ووظيفيا في الرواية الرسائلية، سواء كان حاضرا في النص أم غائبا.
- **الوظيفة التنسيقية** de régie: يؤدي من خلالها الراوي وظيفة التنسيق النصي اتساقا وانسجاما، ويظهر ذلك خاصة في تبادل الحوارات.
- **الوظيفة التواصلية** communicationnelle: تظهر من خلال الآخر، أي متلقي النص الروائي الرسائلي ومخاطبته بشكل مباشر أو غير مباشر.
- **الوظيفة الاستشهادية** testimoniale: وهي شهادة الراوي بصدق روايته، ودقة خطابه، وصحة أحداثها ومعلوماتها وغيرها، وتعبيره عن مشاعره وعواطفه اتجاه المحتوى الروائي.
- **الوظيفة الإيديولوجية** Idéologique: في بعض الأحيان، يعبر الراوي عن فكره ورأيه اتجاه موضوع ما يطرحه بواسطة الحبكة الروائية الرسائلية.

ومما يجدر ذكره أن هذا التنويع في الوظائف يضيف إلى الرواية الرسائلية جمالية نصية وسيميائية، لكن أكثر شيء يميزها هو االنمط الرسائلي أو الكتابة الرسائلية إن صح القول التي لا تستقيم إلا بوجود الركائز الثلاث: "المرسل، والمرسل إليه، والرسالة"، التي تنشئ ما يسمى بالتقابل contrast الضروري لإنجاح العملية التواصلية وتحقيق القصدية، والتي لا تصاغ إلا وفق الشروط الثلاثة الآتية: حسن التأليف، وجودة التركيب، وحسن الوصف، ويتميز الخطاب الرسائلي بهيكلية لا نجدها في النصوص الروائية الأخرى، تتضمن عبارة "**إلى** ... " أو "**عزيزي** ..." (عادة اسم المرسل إليه)، مع عبارة افتتاحية أو عنوان يمهد لنص الرسالة، ويختتم باسم المرسل إليه وعبارة ختامية مثل: فلان – مع فائق الاحترام والتقدير، مع ذكر التاريخ في بداية أو نهاية الرسالة عقب الاختتام مباشرة، كما يتنوع الخطاب الرسائلي بين النصوص القصيرة والنصوص الطويلة، وأحيانا تكون هذه النصوص مدعومة برسومات أو صور، وكل ذلك يجعل من ترجمتها سهلة ممتنعة.

2– في ترجمة الرواية الرسائلية: بين السرد والتلقي

يبدو أن ترجمة الرواية الرسائلية إلى اللغة العربية على اختلاف أنواعها عرفت أوجها خلال القرن الواحد والعشرين من الناحية التطبيقية مع تطور الطباعة والنشر، نذكر على سبيل المثال ترجمة رواية Oscar et la Dame Rose للكاتب الفرنسي Eric-Emmanuel Schmitt، التي صدرت سنة 2015 عن دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع بعنوان أوسكار والسيدة الوردية – ترجمة آنا عكاش، وترجمة رواية Liaisons dangeureuses للكاتب الفرنسي Pierre Choderlos de Lachelos ، التي صدرت سنة 2018 عن دار الجمل بعنوان علاقات خطرة – ترجمة لينا بدر، وترجمة رواية Lettres Persannes للكاتب الفرنسي Montesquieu، التي صدرت سنة 2023 عن دار الرافدين للنشر بعنوان رسائل فارسية – ترجمة إينانة الصالح، وترجمة رواية Daddy Long Legs للكاتبة الأمريكية Jean Webster، التي صدرت سنة 2009 عن المركز القومي للترجمة – ترجمة سمير محفوظ بشير، وسنة 2018 عن منشورات

تكوين – ترجمة بثينة الإبراهيم، هذين الترجمتين سنتناولهما في الجانب التطبيقي لهذا المقال واللتين وقع اختيارنا لهما كونهما الأكثر تحميلا والأكثر مبيعا على التوالي بحسب موقعي دار الإمام المازري ومكتبة نور، غير أن الرواية الرسائلية على العموم لم تلقى اهتماما كافيا من قبل منظري الترجمة ونقادها، على خلاف بعض الدراسين والناظرين في قضايا الأدب واللغة الذين أسهموا ولو بالقليل في دراسة الرواية الرسائلية شكلا ومضمونا بالاستعانة ببعض المدونات، في أبحاثهم الأكاديمية سواء كانت مقالات أو أطروحات أو كتب، مثل الباحثة عايدة مرعى عبد السليم عبد العال التي طرحت إشكالية البناء الفني للرواية الرسائلية في رسالة ماجستيرها الموسومة بـ: الرواية الرسائلية في الأدب المصري الحديث – دراسة تحليلية، بكلية الآداب لجامعة طنطا سنة 2021، والناقد الأكاديمي الأستاذ الدكتور فهد إبراهيم بكر الذي صب جل اهتمامه في أبحاثه على الرواية الرسائلية السعودية، حيث صدر له مؤخرا (سنة 2022) كتابا بعنوان "الرواية الرسائلية: مدخل إلى شعرية الأصول، والأنواع، والوظائف، والتحولات" عن دار الانتشار العربي، تناول فيه خصائص وأساليب السرد الروائي الرسائلي ومنها: تنوعه بالصور المجازية، والكناية، والتشبيه، وألفاظ التجنيس والمقابلة، والجمل المسجوعة والموزونة، والظواهر الإيقاعية، وازدواجية الألفاظ وغيرها من الخصائص والأساليب الأخرى.

في هذا المقام، ومن منظور ترجمي، نستنتج أن ترجمة الرواية الرسائلية تطرح مسألة ترجمة السرد والوصف والتلقي، بما أنها في الأساس رواية، وبالتالي وجب علينا إعادة النظر في مناهج وأساليب ترجمة السرد والتلقي، والسرد الروائي يقوم على تقنيات بنيوية ودلالية وجمالية الأولى كالسرد بضمير الغائب، والاسترجاع، والاستباق، والحذف، والوصف، والتلخيص، والحوار الخارجي، والحوار الداخلي، وترجمة هذا النوع من السرد لا يتطلب من المترجم الوقوف عند كل تقنية والبحث عن مكافئها في اللغة الهدف، لأن السرد أساسا يصنف في خانة الترجمة الأدبية، والترجمة الأدبية مثلما هو متعارف عليه نظريا تتطلب من المترجم حسا فنيا ولغة تعبيرية ترتكز على الجمالية والكتابة السردية الوصفية، كما ترتكز على التصرف، سواء داخل النص أو خارجه، أي شكليا على مستوى المبنى، أو سيميائيا على مستوى الثقافة، والتصرف اختلاف في اللغة والثقافة والمفاهيم، بالتالي، فالترجمة الأدبية بما فيها ترجمة الرواية الرسائلية ترجمة قوامها الاختلاف.

3– بطاقة قراءة لرواية Daddy Long Legs لجين ويستر

▪ **عنوان الكتاب:**	Daddy Long Legs
▪ **نبذة عن الكاتب:**	Jean Webster جين وبستر، كاتبة أمريكية، ولدت بولاية نيويورك، بمقاطعة فريدونيا، سنة 1876، وتوفيت سنة 1916، لها العديد من المؤلفات الأدبية في مجال الرواية الرسائلية الموجهة للبنات المراهقات، أشهرها: أبي طويل الساقين، وعزيزي العدو (عدوي اللدود).
▪ **اسم الناشر:**	دار The Century Co. للنشر – نيويورك. الطبعة الأولى. أكتوبر 1912.
▪ **الجنس الأدبي:**	رواية رسائلية أحادية الصوت تتضمن فصلا استهلاليا و77 رسالة مؤرخة مدعومة برسومات طفولية تشبه الكاريكاتور أغلبها تتذيل الرسائل.
▪ **التعريف بالرواية:**	المكان: الولايات المتحدة، نيويورك – دار جون جرير للأيتام وكلية البنات للساحل الشرقي. الزمان: في بداية القرن العشرين، وورد أيضا في رسائل جودي إلى أبي طويل الساقين على شكل تواريخ تقويمية يومية وشهرية دون ذكر السنة، وفي بعض الأحيان يومية بذكر يوم الأسبوع وليس ترتيب اليوم في الشهر، مع إضافة الساعة بالدقيقة، ويظهر الزمن أيضا في التسلسل السردي للرسائل.

	الشخوص: جيروشا أبوت المدعوة جودي أبوت (بطلة الرواية والراوية صاحبة الرسائل)، والسيدة ليبيت، مديرة دار الأيتام، وسالي ماكبرايد الصديقة اللطيفة المقربة لجودي، وجوليا روتليج بندلتون الصديقة العدوة لجودي، والعم جيفري بندلتون، عم صديقتها جوليا، الاسم الحقيقي للسيد جون سميث المدعو بأبي طويل الساقين في أغلب الرسائل.
▪ **ملخص الرواية:**	تدور أحداث الرواية في بداية القرن العشرين، وتحديدا بالولايات المتحدة، أين كانت تعيش فتاة تدعى جودي أبوت بدار خاصة للأيتام تخضع لتبرعات الغير وأعمالهم الخيرية، والتي كان من المفترض أن تغادره عندما بلغت سن السابعة عشر وبعدما أنهت تعليمها، قبل أن تستفيد من عرض أحد المتبرعين المتمثل في دفع تكاليف دراستها في إحدى الجامعات مع منحة شهرية سخية، الذي قرر منحها هذا العرض بعد تحدثه مع أساتذتها القدامى في أحد أيام أربعاء وبعدما لاحظ موهبتها الاستثنائية في الكتابة الأدبية ورأى أنه بفضل هذه الموهبة سيكون لها شأنا كبيرا في المستقبل، غير أنه اشترط عليها في المقابل، أن تكتب له كل شهر رسالة كي تتمرن على الكتابة الأدبية حسب اعتقاده، وأن لا تنتظر أي رد منه لأنه اختار أن لا يكشف لها عن هويته، وأن تكتفي فقط بإرسال كتاباتها إلى السيد "جون سميث" وهو اسم مزيف اختاره لنفسه، لكن لحسن حظها أنها لمحته من الخلف في الميتم وقررت أن تناديه بـ "أبي طويل الساقين"، من باب التسلية، نظرا لقامته الطويلة وساقيه الطويلتين أيضا. بعد الفصل الاستهلالي الذي عنونته بالأربعاء السيء، تلي الرسائل السبعة والسبعين الموجهة للسيد "جون سميث" المؤرخة جميعها باليوم والشهر وأحيانا بيوم الأسبوع، وتسرد فيها الفتاة "جيروشا" (اسمها الحقيقي الذي تكرهه قبل تغييره إلى جودي عند دخولها الجامعة) مغامراتها في الجامعة مع صديقتيها جوليا بندلتون التي تنتمي إلى الطبقة المخملية، وسالي ماكبرايد من الطبقة العامة، وتستذكر أحيانا مغامراتها مع السيدة ليبيت، مديرة دار الأيتام وأصدقائها اليتامى في رسائلها، وكل ذلك بطريقة فكاهية وأحيانا جدية. وتكشف لنا في رسائلها الأخيرة عن هوية المتبرع الثري وغريب الأطوار وهو "العم جيرفي بندلتون"، عم صديقتها جوليا بندلتون الذي التقت به خلال عدة مناسبات دون أن تدرك يوما أنه المتبرع السري.

4- دراسة تحليلية لرواية صاحب الظل الطويل (النسخة العربية لرواية Daddy Long Legs ترجمة بثينة إبراهيم)

إن أول ما يلفت انتباهنا عند قراءتنا للنسخة العربية "صاحب الظل الطويل – ترجمة بثينة الإبراهيم" لرواية Daddy Long Legs عنوانها وصفحتها الخارجية، فالعنوان لم يترجم حرفيا، بل ترجم بتصرف وتحديدا بتقنية التطويع modulation، حيث أن ظل الإنسان يكون طويلا في الصباح الباكر أو في المساء، أي عندما تكون الشمس منخفضة على عكس وقت الظهيرة، وقد وصفت جودي أبوت في الفصل الاستهلالي السيد "جون سميث" أو "أبي طويل الساقين" (الترجمة الحرفية للعنوان الأصل)، بظله الطويل، وذلك عندما لمحته من الخلف وهو يغادر دار الأيتام متوجها نحو عربته التي كانت تنتظره في الممر خاصة عندما عكست الأضواء الأمامية يديه وساقيه التي بدت طويلة الأمر الذي جعل من ظله يبدو طويلا وسخيفا، وقد تركت لها هذه النظرة الخاطفة انطباعا غريبا فيما يتعلق بطوله، فقررت مناداته في النسخة الأصلية Long Legs مع إضافة كلمة Daddy للتعبير عن شكرها وامتنانها له نظير تكفله بدراستها الجامعية. وعند قراءتنا للعنوان الأصل قراءة سيميائية نجد البعد الفكاهي يطغى أكثر، خاصة في شقه الثاني Long Legs الذي عززته كلمة Daddy التي أضافت مجاملة وأثرا سيميائيا يتمثل في المحبة العفوية والشكر، وهو ما يمكن رفضه في النسخة العربية في حال ترجم حرفيا "أبي طويل الساقين"، لأن البعد السيميائي في هذه الحالة يمكن أن يترك أثرا ساخرا أكثر منه فكاهيا، لأن الأب مقدس في المجتمع والثقافة العربيتين ولا يمكن تقبل وصفه أو نعته بطريقة ساخرة، لذلك كان اختيار المترجمة موفقا في ترجمته بـ "صاحب الظل الطويل" مكتفية بترجمة الشق الثاني بتقنية التطويع، أي السبب عوضا عن النتيجة (بما أن ظله طويل فذلك يعني أن ذراعيه وساقيه طوال)، وحذف الشق الأول Daddy متجنبة ترك الأثر الساخر ومكتفية بالأثر الفكاهي، معززة ذلك بالصورة المرفقة على الغلاف لظل طويل بسبب ساقيه وذراعيه الطوال، واختيارها للون الأسود العاكس للظل في خلفية زرقاء تعكس لون السماء التي تمطر على جودي وهي تحمل المظلة منذ أن كانت طفلة في الميتم إلى أن أصبحت راشدة أي طالبة جامعية، مع العلم أن صور جودي وهي تحمل المظلة مقترضة من الرسالة المعنونة بالسبت – الساعة 06:30 صباحا.

ويبدو أن عنوان "صاحب الظل الطويل" هي الترجمة العربية الأكثر شيوعا لدى المترجمين، والبداية كانت مع النسخة العربية للرسوم المتحركة "صاحب الظل الطويل" من توزيع الشركة الإماراتية "رؤية للإنتاج الفني" سنة 1990، التي ترجمت نصه فاطمة المصري وهي أول من وضع هذه الترجمة، لتليها بعدها عدة ترجمات نصية نشرت في عدة ديار نشر، أهمها:

العنوان	المترجم	الناشر	السنة

صاحب الظل الطويل	منى وفيق	كتب عربية	2005
صاحب الظل الطويل	بثينة الإبراهيم	منشورات تكوين	2018
صاحب الظل الطويل	عماد عبدة	دار الأهلية	2020
صاحب الظل الطويل	محمد أمين الصباغ	دار التنوع الثقافي	2021
صاحب الظل الطويل	لطيفة معوش	دار المثقف	2021
صاحب الظل الطويل	فاطمة خالد الصالح	مكتبة التقوى للنشر والتوزيع	2021
صاحب الظل الطويل	دعاء أبو العلا نورسين	مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع	2022
صاحب الظل الطويل	إسلام رمضان	دار المعرفة للنشر والتوزيع	2022
صاحب الظل الطويل	منير عليمي	دار ملهمون للنشر والتوزيع	2023
صاحب الظل الطويل	إيمان عبد الرحمن	Kindle Edition	2023
صاحب الظل الطويل	سماح جبريل	دار زاجل مصر	2023
صاحب الظل الطويل	آية إبراهيم	دار إضافة للنشر والتوزيع	2023
صاحب الظل الطويل	محمد علي ثابت	دار إشراقة	2024
صاحب الظل الطويل	إسراء ذياب	مسافات للترجمة والنشر والتوزيع	2024

بالتالي، يبدو أن المترجمة بثينة الإبراهيم تبنت هذه الترجمة المتعلقة بعنوان الرواية الرسائلية، ويبدو أيضا أنها انتحت استراتيجية الترجمة بتصرف على الرغم من التزامها بالأمانة في أغلب الأحيان فيما يتعلق بسرد الأحداث وأسماء الشخوص والأماكن التي نقلتها حرفيا، ويمكن أن نستدل هنا بالمثالين الآتيين:

المثال الأول:

تظهر الرسالة المدرجة أدناه التزام المترجمة بثينة الإبراهيم باستراتيجية الترجمة الحرفية التي تخدم الترجمة لأنها حافظت على السردية الرسائلية ومقصديتها في الرسالة، حيث تفننت في نقل ما تفكر به شخصية جودي، أي فضولها لمعرفة هوية الشخص المتبرع لها أو صاحب الظل الطويل مثلما اصطلحت عليه المترجمة مع المحافظة على الحوارية المباشرة والصورة المرفقة والانسجام بين مختلف مقاطع الحوار وذلك بالمحافظة على صراعها الداخلي وعشوائية آرائها عن صاحب الظل الطويل والتوقع الناجم عن الخيال السردي، فقارئ الترجمة يستمتع وهو يقرأ هذه الرسالة لأنها تحرك خياله مما يجعله لا يشعر بالملل وهو يقرأ الترجمة، بل على العكس تماما فهو يحاول اكتشاف المزيد، لأنها قدمت الوصف في صورة صادقة وحرصت على نقل البعد الجمالي للشيء الموصوف، وهو الرأس والشعر والعينين، ونقله للقارئ بطريقة دقيقة. نستخلص من هذه الترجمة أن المترجمة فضلت المحافظة على غيرية النص للقارئ.

December 19th.

Dear Daddy-Long-Legs,

You never answered my question and it was very important.

ARE YOU BALD?

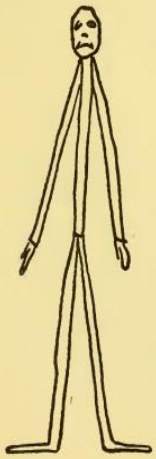

I have it planned exactly what you look like—very satisfactorily—until I reach the top of your head, and then I *am* stuck. I can't decide whether you have white hair or black hair or sort of sprinkly gray hair or maybe none at all.

Here is your portrait:

But the problem is, shall I add some hair?

Would you like to know what color your eyes are?

[52]

التاسع عشر من ديسمبر

عزيزي يا صاحب الظل الطويل

لم ترد أبدًا على سؤالي وقد كان مهمًا جدًا.

هل أنت أصلع؟

لقد فكرت مليًا كيف تبدو، بشكل مُرضٍ جدًا، حتى وصلت إلى قمة رأسك، ومن ثم احترت.

لا يمكنني أن أحدّد إن كان لك شعر أسود أم أبيض أم رمادي، أم لا شيء.

هذه رسمتي لك:

إليك المشكلة: هل عليّ إضافة بعض الشعر؟

هل ترغب بمعرفة لون عينيك؟

إنها رماديتان، وحاجباك يمتدان للخارج مثل سطح سقيفة (معلقان، هكذا يسمونها في الروايات) وفمك خط مستقيم يميل إلى الانحناء للأسفل عند الزوايا. أوه، كما ترى، أنا أعرف! إنك عجوز نزق وشكس.

(جرس الكنيسة)

المثال الثاني:

The Ides Of March	**منتصف مارس الحرج (1)**
Dear D.-L.-L., I am studying Latin prose composition. I have been studying it. I shall be studying it. I shall be about to have been studying it. My re-examination comes the 7th hour next Tuesday, and I am going to pass or BUST. So you may expect to hear from me next, whole and happy and free from conditions, or in fragments. I will write a respectable letter when it's over. Tonight I have a pressing engagement with the Ablative Absolute. Yours—in evident haste J. A.	عزيزي ص.ظ.ط. أدرس كتابة النثر اللاتيني. كنت أدرسه، وسأدرسه، ويبدو أنني سأظل أدرسه للأبد. يحين موعد إعادة اختباري الساعة السابعة يوم الثلاثاء القادم، وإما إنني سأنجح أو سأخفق اخفاقا غير مسبوق. لذا قد تتوقع أن أرسل لك بعدها وأنا غير مصابة بأذى وسعيدة وحرة، أو سأرسل إليك وأنا محطمة. سأكتب رسالة طويلة بعد انتهائه. الليلة لدي انشغال ضاغط مع شبه الجملة. المخلصة لك في عجلة واضحة، ج.أ.

اختارت المترجمة ترجمة العنوان "The Ides of March" بالمكافئ الثقافي "منتصف مارس الحرج" عوضا عن ترجمته حرفيا بـ "إديس مارس" أو بالمكافئ التاريخي "15 مارس" أو "منتصف مارس" الذي يتزامن مع هذا العيد الروماني وأضافت حاشية لها في أسفل الرسالة تشرح فيها ماذا تقصد بمنتصف مارس الحرج:

(1) في الأصل هو العيدس، أي الخامس عشر من شهر مارس ومايو ويوليو وأكتوبر في التقويم الروماني. وقد كانت تقام فيه عدد من الأعياد الدينية وتقدم فيه الأضحيات للآلهة، كما أنه كان آخر موعد لسداد الديون لدى الرومان. وفي عام 44 قبل الميلاد اغتيل يوليوس قيصر في هذا اليوم، ما جعل من الخامس عشر من مارس نقطة تحول في التاريخ الروماني، ونظرا لما تعانيه جودي مع اللغة اللاتينية فهو يوم حرج ويوم سداد دين ونقطة تحول في مسيرتها الدراسية. (ص 60).

وقد صاغت المترجمة هذه الرسالة بطريقة سلسلة ومتسقة غير أنها أخفقت في نقل الجملة الأخيرة من الرسالة:

Tonight I have a pressing engagement with the Ablative Absolute.

التي كان من الأجدر لها أن تترجمها بـ:

لكنني ملزمة هذه الليلة بمراجعة درس شبه الجملة في اللغة اللاتينية، أو أن تتصرف بـ: **لكنني مجبرة على السهر هذه الليلة لإنقاذ مسيرتي الدراسية**.

أو ترجمتها مثلما فعل المترجم سمير محفوظ البشير: **أما الليلة فأنا مشغولة تماما بالأفعال الشاذة والمطلقة وغيرها الكثير من لخبطات اللغة اللاتينية**. وهي ترجمة بتصرف وتفي بالغرض المرجو وهو ترك الأثر الاستعجالي لإنقاذ نفسها من خطر الرسوب في الامتحان.

بما أن هذه الجملة تفيد اختيار المترجمة لوصفها للعيد الروماني بـ "الحرج" والتركيز أكثر على التصريح.

5- دراسة تحليلية لرواية أبي طويل الساقين (النسخة العربية لرواية Daddy Long Legs ترجمة سمير محفوظ البشير)

تبدو ترجمة رواية أبي طويل الساقين في نسختها العربية لسمير محفوظ البشير لأول وهلة حرفية بالنظر إلى العنوان، ولكن المتفحص لمحتواها يجدها تتأرجح أيضا بين الحرفية والتصرف، فالمترجم محفوظ البشير أعاد محتوى الرواية كما هو من الناحية الشكلية، مكتفيا بترجمة عناوين الرسائل كما هي، مع انتحاء تقنية الحذف في بعض الأحيان، ولعل ما يميزها أكثر تقنية الحذف في متن الرسائل في معظم الأحيان، ولكن بطريقة لا تنقص من قيمة النص الرسائلي شيئا، والمثالين المدرجان أدناه يوضحان ذلك أكثر. بالإضافة إلى العنوان المترجم وهو ترجمة حرفية ونوعها محاكاة بنيوية جاءت مطابقة للعنوان الأصل:

Daddy Long Legs: **أبي طويل الساقين**.

عند قراءتنا لترجمة هذا العنوان للمرة الأولى نستكشف كمتلقين أنه ترك لنا أثر الإحساس بالتعجب والدهشة إن لم يكن شذوذا، وكيف لأب عربي أن نصفه بطويل الساقين، والأب مقدس ويتمتع بسلطة تقديرية في العائلة وفي المجتمع، لكن بعد قراءته نعتاد على ذلك، ونتقبله تلقائيا نظرا لتكرار هذا العنوان الذي يمثل صفة مقابل تسمية في كل رسالة سيما في العبارات الافتتاحية والختامية لأغلب الرسائل. وقد ورد في صفحة الغلاف لنسخة المترجم محفوظ البشير صورة للنصف السفلي لجسم رجل يبدو أنه طويل القامة بسبب طول ساقيه وارتكازه على عكاز طويل أيضا ويرتدي زيا كلاسيكيا أبيضا يضع يده اليمنى في جيبه ويقف بكل ثقة وشموخ مع خلفية سوداء اللون يظهر فيها خيال امرأة التي تمثل جودي أبوت، ولعل اختياره إلباس أبي طويل الساقين بالزي الأبيض وإدراجه في خلفية سوداء جاء للتعبير عن الشخص المنقذ لجودي أو شعاع الأمل المنتظر الذي لطالما آمنت به للخروج بأمان من مأزق الظلام.

المثال الأول

17th October	17 أكتوبر
Dear Daddy-Long-Legs, Supposing the swimming tank in the gymnasium were filled full of lemon jelly, could a person trying to swim manage to keep on top or would he sink? We were having lemon jelly for dessert when the question came up. We discussed it heatedly for half an hour and it's still unsettled. Sallie thinks that she could swim in it, but I am perfectly sure that the best swimmer in the world would sink. Wouldn't it be funny to be drowned in lemon jelly?	والدي العزيز طويل الساقين فلنفرض أن حوض الاستحمام الموجود في صاله الألعاب كان مملوءا بالمهلبية، هل يستطيع شخص ما أن يعوم فيه ويحافظ على بقائه فوق سطح السائل أم أنه يغطس؟ لقد تناولنا المهلبية كحلوى عندما تعرضنا لهذا السؤال وتناقشنا فيه أكثر من نصف ساعة، وما زال الموضوع معلقا. سالي تعتقد أنها تستطيع العوم فيه، لكني أظن أن أفضل السباحين في العالم سيفشل بالتأكيد، أليس أمرا مضحكا أن يغرق الإنسان في المهلبية؟

في هذا المثال، لجأ المترجم سمير محفوظ البشير إلى الترجمة الحرفية في سرد الأحداث لكنه تصرف في عبارة lemon jelly التي تعني "جيلي الليمون" واستبدلها بمكافئ ثقافي وهو "المهلبية"، وأصلها "محلبية" نسبة للمكون الرئيسي لها وهو الحليب، وهي عبارة عن تحلية تطبخ بالحليب والأرز والنشاء على نار هادئة حتى يتكاثف المزيج ويصبح هلاميا أو كالجيلي، ثم تضاف له بعض المكسرات (ليست بالضرورة) ويوضع في مكان بارد حتى يتحول من سائل هلامي إلى صلب أي حتى يجمد المزيج ويصبح متماسكا ولزجا، واختياره كان في محله، لأن المهلبية تكافئ جيلي الليمون، فهي أيضا في الأصل سائل يجمد بعد تبريده ويصبح لزجا مثل المهلبية، وهو الأثر السيميائي الذي

تركه النص الأصل عند قراءته، حيث تتساءل جودي هل يمكن السباحة في حوض مملوء بالمهلبية؟ أي هل يمكن السباحة في حوض مملوء بسائل لزج.

المثال الثاني

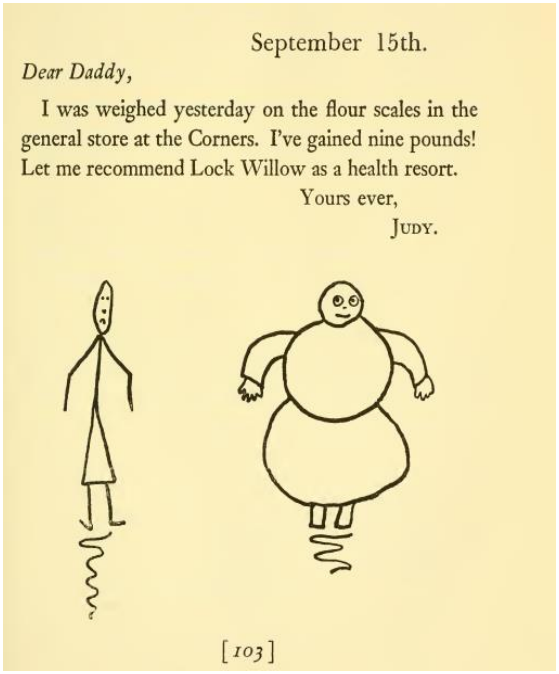

September 15th.

Dear Daddy,

I was weighed yesterday on the flour scales in the general store at the Corners. I've gained nine pounds! Let me recommend Lock Willow as a health resort.

Yours ever,

JUDY.

[103]

١٥ سبتمبر

والدى العزيز

وزنت نفسى أمس على ميزان الدقيق فى المخزن الرئيسى للبلدة، لقد زدت تسعة أرطال، دعنى أوصِ لك بلوك ويلو كمكان تسترجع فيه صحتك.

لك إلى الأبد

جودى

قبل

بعد

٢٥ سبتمبر

والدى طويل الساقين

اعتمد المترجم سمير محفوظ البشير في هذه الترجمة ترجمة حرفية على العموم، وأعاد الصورة كما هي مع إضافة شرح موجز "قبل وبعد"، أي قبل الذهاب إلى مزرعة لوك ويلو وبعد الذهاب إليها، وأيضا قبعة على رأس جودي "الثخينة".

المبحث الثاني: قراءة فلسفية لبعض تجليات الاختلاف في الترجمتين العربيتين لرواية بثينة الإبراهيم وسمير محفوظ البشير

تطرح ترجمة الرواية الرسائلية والترجمة الأدبية على العموم، بوصفها ممارسة فلسفية قضية الاختلاف في جو من التفاعل المعقد بين الثقافات العربية والغربية. في هذا الإطار، تدعونا الترجمتين العربيتين للرواية الرسائلية Daddy Long Legs لكل من بثينة الإبراهيم وسمير محفوظ البشير أن نقف عند تجليات الاختلاف في الترجمة، سيما بعلاقاتها بقضايا التأويل والمثاقفة ومساءلة فكر الأنا والآخر، وقضايا الهوية، والتعددية الفكرية. كما أن اختيار المترجمين لاستراتيجيتي الترجمة الحرفية في أغلب المواضع النصية والتصرف أحيانا لم يأت صدفة بل أتى عن وعي سببه رفض الآخر تارة وقبوله تارة أخرى، ونستدل هنا بالأمثلة الآتية ذات الصلة بعنوانين رسائل جيروشا أو جودي إلى السيد أبي طويل الساقين:

Daddy Long Legs **Jean Webster**	**أبي طويل الساقين – ترجمة سمير محفظ البشير**	**صاحب الظل الطويل – ترجمة بثينة الإبراهيم**
Blue Wednesday	يوم الأربعاء الأزرق	الأربعاء الكئيب
The Letters of Miss Jerusha Abbot to Mr. Daddy-Long-Legs Smith	خطابات الآنسة جيروشا أبوت إلى مستر "أبي طويل الساقين"	رسائل الآنسة جيروشا أبوت إلى السيد سميث صاحب الظل الطويل
215 Fergussen Hall 24th	24 سبتمبر	215 قاعة فيرغسون

September		الرابع والعشرون من سبتمبر
1st October	01 أكتوبر	الأول من أكتوبر
10th October	10 أكتوبر	العاشر من أكتوبر
Wednesday	لا يوجد	الأربعاء
Towards The End Of The Christmas Vacation. Exact Date Unknown	ستنتهي إجازة العيد بعد قليل التاريخ الدقيق غير معلوم	قرب انتهاء عطلة عيد الميلاد التاريخ الدقيق مجهول
On The Eve	عيد الفصح	ليلة رأس السنة
Dear Daddy-Long-Legs,	والدي العزيز طويل الساقين	عزيزي يا صاحب الظل الطويل
The Ides Of March	أوائل مارس	منتصف مارس الحرج
The Infirmary, 4th April	المعزل الطبي في 14 أفريل	المشفى الرابع من أبريل
8th Hour, Monday	الساعة الثامنة – الإثنين	الساعة الثامنة، يوم الإثنين
30th May	والدي العزيز طويل الساقين	الثلاثين من مايو
24th March, Maybe The 25th March	24 مارس ربما 25 مارس	الرابع والعشرون من مارس أو لعله الخامس والعشرون من مارس
Dear Daddy-Long-Legs Smith	السيد العزيز والدي طويل الساقين – سميث	السيد صاحب الظل الطويل سميث
Thursday Morning	صباح يوم الخميس	صباح الخميس

تؤكد لنا هذه الترجمات أيضا أن الترجمة الأدبية على العموم والترجمة الرسائلية لا تخضع بالضرورة إلى استراتيجية التصرف، وتفند لنا المسلمات النظرية التقليدية والشائعة التي تذكرنا وتؤكد لنا دائما حرية المترجم الأدبي في التصرف، لكنها تبين لنا الاختلافات الظاهرية والضمنية في الترجمة التي يمكن استخلاصها كالآتي:

1- **الاختلاف الإيديولوجي**: وهو اختلاف ينشأ بين فكر الكاتب ومحيطه وثقافته وبين ثقافة المترجم وفكره ومجتمعه، وأنسب مثال على ذلك المثال الأول، حيث نجد عنوان الفصل الاستهلالي للرواية Blue Wednesday يقصد به يوم الأربعاء الحزين أو الكئيب وليس الأربعاء الأزرق مثلما فعل محفوظ البشير – وهي ترجمة رصفية – وهو يوم مخصص للتوعية بسرطان الفم، ووصف بالأزرق في اللغة الإنجليزية لأن رمزية اللون الأزرق (الحزن والكآبة) في الثقافة الغربية تختلف عن رمزيته في الثقافة العربية، بالتالي من غير المقبول ترجمة العنوان حرفيا، بل كان من الممكن نقله بمكافئ ثقافي أي لون في الثقافة العربية يدل على رمزية الحزن والكآبة، مثل الأربعاء الأسود أو بمكافئ دلالي الأربعاء الحزين، والاختلاف هنا في فكر الكاتبة جين وبستر وثقافتها، لأن وصفها ليوم الأربعاء بالأزرق لم يأت صدفة فهو موجود في ثقافتها الأمريكية ولكنه غير موجود في الثقافة العربية.

2- **الاختلاف الهيرمنيوطيقي**: وهو اختلاف ينشأ بين المترجمين بسبب اختلاف تأويلاتهم الخاضعة لذاتيتهم الترجمية، بسبب اختلاف القراءات، وأنسب مثال في هذا الصدد، عنوان الرسالة On the Eve الذي يقصد به ليلة عيد الميلاد التي تصادف تاريخ 24 ديسمبر، كما يمكن أن تفيد ليلة رأس السنة التي تصادف تاريخ 31 ديسمبر، أي أن عيد الفصح الذي وضعه محفوظ البشير في غير محله لأن عيد الفصح عادة ما يصادف التاريخ الواقع ما بين 4 أفريل و8 ماي. بالتالي، فإن المترجم لم يختلف فقط مع بثينة الإبراهيم فيما يتعلق بالترجمة بل أخفق أيضا في تأويل المعنى، والاختلاف هنا يحيلنا إلى عدم التمثل في الترجمة.

3- **الاختلاف التصويري** : وهو اختلاف وصفي أيقوني ينشأ في صراع التأويل والذاتية والهوية والغيرية بين الكاتب والمترجمين، فتأتي الصورة مختلفة، ونستدل في هذا السياق بصورة الغلاف التي حللناها أعلاه، حيث يتجسد الاختلاف في الفروقات بين صور الأغلفة الخارجية للنسخ الثلاث للرواية الرسالية Daddy Long Legs أي الأصلية والترجمتين العربيتين موضوع بحثنا، حيث نجد في الغلاف الخارجي للرواية الأصلية جودي واقفة أمام الباب الرئيسي للكلية في يوم ربيعي مشمس ومزهر تحمل كتبها الجامعية وكأنها تخاطب صديقاتها الثلاث وهن يقفن في الجهة المقابلة، بينما نجد في الغلاف الخارجي لنسخة بثينة الإبراهيم صورة لظل طويل لشخص يرتدي قبعة، وفي الغلاف الخارجي لنسخة محفوظ البشير صورة لساقين طويلتين لشخص يبدو ضخما وقوي البنية يتكأ على عكازه. ويمكن أن نلحظ أن هذا الاختلاف يتمثل في عدم مطابقة الصورتين المرجعيتين المتكونتين على التوالي في ذهني المترجمين بسبب وجود الاختلافين الهرمنيوطيقي والتصويري.

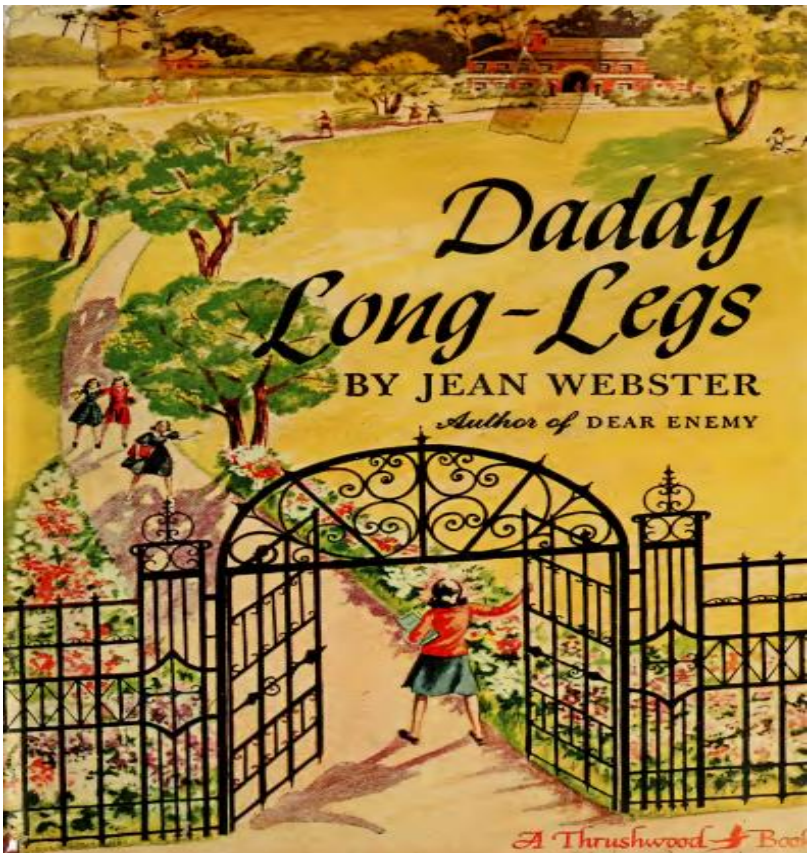

خاتمة

نخلص في ختام هذا البحث الذي حاولنا من خلاله الكشف عن تجليات الاختلاف في الترجمة الروائية الرسائلية من وجهة نظر فلسفية إلى رصد النتائج الآتية:

1- ينطوي البعد الفلسفي للترجمة على مبدأي القبول والرفض، قبول الذات أو رفضها والعكس صحيح بالنسبة للآخر.

2- يتجلى الاختلاف في اختلاف الترجمات شكلا ومضمونا وتلقيا، والمترجمين جنسا وملمحا وتعبيرا وفكرا.

3- يتجلى الاختلاف في الترجمة بالتصورات المادية (النصية كالكلمات والجمل وهي كيانات مادية) واللامادية (خارج نصية كالقصدية والهرمنيوطيقية والسيميائية).

4- تستحدث كينونة الأنا المختلفة إلى حد كبير في ذات الآخر بواسطة المترجم وتنصهر معه وتولّد ما يسمى بـ "الترجمة الاختلافية".

5- لا يوجد ترجمة بتصرف أو ترجمة حرفية في الترجمة الأدبية بل ترجمة اختلافية تقوم إجراءاتها على فعل المثاقفة والظاهرية والضمنية.

6- يتعامل المترجم في الترجمة مع ثلاثة أنواع من الاختلاف: الإيديولوجي، والهرمنيوطيقي، والتصويري، على غرار الاختلافات الشائعة الأخرى.

7- تنجم الترجمة تنجم عن صراعين داخلي وخارجي: الأول "صراع إنساني ذهني" في ذات المترجم، والثاني "صراع لغوي خارج لغوي" في روح النص.

8- لا يمكن حصر الترجمة الأدبية على العموم وترجمة الرواية الرسائلية على الخصوص في استراتيجية التصرف، بل على العكس يمكن انتحاء استراتيجية الترجمة الحرفية أيضا، وبالتالي تفنيد الفكر النظري النمطي السائد في حقول الترجمة البحثية.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية ورش.

المصادر:

1- جين ويستر. ترجمة سمير محفوظ البشير (2009). أبي طويل الساقين. المركز القومي للترجمة. القاهرة.

2- جين ويستر. ترجمة بثينة الإبراهيم (2018). صاحب الظل الطويل. منشورات تكوين. بيروت/ بغداد.

3- Jean Webster (1912). DADDY LONG LEGS. Grosset and Danlup Publishers. New York.

المراجع:

1- غينتسلر، إدوين. (2007). في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة. ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح. المنظمة العربية للترجمة. بيروت – لبنان.

2- بعاج، كريم طاهر. (2010). ثقافة الاختلاف. في مجلة الدراسات الإسلامية المعاصرة. الحجم 1، العدد 1. ص 1 – 35. https://www.iasj.net/iasj/download/0826248f7ad4799b

3- حيدر، محمود. (2020). فجوة هيغل. في سلسلة دراسات نقدية في أعلام الغرب 2. هيغل. مقاربات انتقادية لنظامه الفلسفي. المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية. بيروت. ص. 13– 19.

4- شولتنغ، دينيس. (2020). هيغل ناقدا كانط معاثر الذاتية في الاستنباط الترانسندنتالي. في سلسلة دراسات نقدية في أعلام الغرب 2. هيغل. مقاربات انتقادية لنظامه الفلسفي. المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية. بيروت. ص. 261 – 283.

5- مصطفى، بدر الدين. (2018). دروب ما بعد الحداثة. مؤسسة الهنداوي. المملكة المتحدة.

6- جديدي، محمد. (2019). الترجمة رؤية فلسفية. مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع. الرباط – المملكة المغربية. بيروت – لبنان.

7- قوتال، زهير. (2015). المفهوم الفلسفي عند جيل دولوز. رسالة دكتوراه. جامعة الحاج لخضر – باتنة – الجزائر.

8- خيضر، محمد أحمد (2010). التركيب والدلالة والسياق دراسة نظرية. مكتبة الأنجلو المصرية. مصر.

9- حيدر، خضر.إ. (2019). مفاهيم هيغلية: مصطلحات هيغل في الفلسفة واللاهوت والتاريخ. في مجلة الاستغراب. المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية. بيروت. ص 282 – 300.

10- قوتال، زهير. (2019). طه عبد الرحمن قارئا للنظريات الترجمية. في مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية. جامعة سطيف 2. ص 63 – 90).
11- البكر، فهد بن إبراهيم. (2023). الرواية الرسائلية السعودية : قراءة في تشكلات الجنس الأدبي وتحولاته. في مجلة الدارة. العدد 4. ص 69 – 104.
12- القاضي، محمد وآخرون. (2010). معجم السرديات. دار محمد علي للنشر. تونس.
13- البكر، فهد بن إبراهيم. (2022). الرواية الرسائلة: مدخل إلى شعرية الأصول، والأنواع، والوظائف، والتحولات. الطبعة 1. مؤسسة الانتشار العربي.
14- صفدر، إلي راد. (2019). مفهوم الهرمنيوطيقا. تعريب حسني الجمال. المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت – لبنان.
15- DUBLIN, Core (2016). L'IMPRÉSENTABLE CHEZ KANT: UNE OUVERTURE VERS UNE PROBLÉMATIQUE DES APPAREILS.
16- 2. SLOTE, D. (1990). COMPTE RENDU DE [JOSEPH F. GRAHAM (ED.) (1985) : DIFFERENCE IN TRANSLATION, Ithaca and London, Cornell University Press, 253 p.] Meta, 35(2), 448–449. https://doi.org/10.7202/004175ar
17- ARDUINI, Stefano and HODGSON, Robert. (2001). A Similarity and Difference in Translation: Proceedings of the International Conference on Similarity and Translation : Bible House, New York City, May 31-June 1.
18- DI, Jin. (2003). Literary Translation: Quest for Artistic Integrity. St. Jerome Publishing. Michigan University.
19- IIDA, Atsushi. Individual Differences in the Translation Process: Differences in the act of translation between two groups of ESL Japanese students. In Translation Journal. Volume 12, No. 3. July 2018. https://translationjournal.net/journal/45edu.htm
20- BARTHES, Roland (2000). Le Plaisir du Texte. Précédé de Variations sur l'Ecriture. Editions Seuil. France.
21- PLASSARD, Freddie. (2007). Lire pour Traduire. Presses Sorbonne Nouvelles. France.
22- MESCHONNIC, Henri. (1999). Poétique de Traduire. Editions Verdier. France.
23- EURICH-RASCOE, Barbara L. and VANDE KEMP, Handrika. (1997). Feminity and Shame. Women, Men and Giving Voice to the Feminine. (Thesis). University Press of America. USA.
24- RAO, Sathya. (2011). Des philosophies de la traduction à la théorie non-philosophique de la traduction. TTR, 24(1), 77–101. https://doi.org/10.7202/1013255ar
25- RAKOVA. Zuzana. (2014). Théories de la Traduction. Mazarykova University. Brno.
26- KEROMNES, Yvon. (2009). Représentation et Traduction : le Réalisme en Question. Revue SEPTET, 2, pp.207-235. ⟨hal-00577916⟩.
27- ARJAKOVSKI, François Fédier (sd. 2013). Le Dictionnaire: Martin Heidegger. Editions Cerf. Paris.
28- STEINER, George. (1998). After Babel. 3e Edition. Oxford.
29- RICŒUR, Paul. (2004). Sur la Traduction. Editions Ballard. 2004.
30- GENTZLER, Edwin. (2001). Contemporary Translation Theories. Multilingual Matters LTD. Sydney.
31- GENETTE, Genette. (1972), Figures III, Seuil. Paris.
32- Katheleen Davis. (2014). Deconstruction and Translation. Routledge. London and New York.
33- LADMIRAL, Jean-René. (2014). Sourcier ou Cibliste. Editions Les Belles Lettres. France.
34- BERMAN, Antoine. (1999). La Traduction et la Lettre, ou, l'Auberge du Lointain. Editions Seuil. France.
35- BAKHTINE, Mickail. (1978). Esthétique et Théorie du Roman. Traduit par Daria Olivier. Editions Gallimard. France.